عمرو بن مسعدة

والفلاح الشبيخ

عمرو بن مسعدة كان كاتبا من كتاب الدولة العباسية أيام الخليفة المأمون ، وكان كاتبا بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد ، ولى للمأمون الأعمال الجليلة ، وألحق بذوى المراتب النبيلة وكان أحد أفراد قلائل فى رجال المأمون .

ولعمرو بن مسعدة هذا حكايات منها ماحكاه القاضى التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة .

قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقّة قال : ياعمرو : ما ترى الرّحبيّ قد احتوى على الأهواز ، وهى سلة الخير وجميعُ المال قبله وطمع فيها ، وكتبُه متصلة بحملها : وهو يتعلل ويتربص بى الدوائر ؟ فقلت : أنا أكفى أمير المؤمنين هذا ، وأغنه من يضطره الى حمل ماعليه ، فقال : مايقنعنى هذا ، فقلت : فيأمر أمير المؤمنين بأمره ، فقال : فاخرج اليه بنفسك حتى تُسقده بالحديد ، فتحمله الى بغداد وتقبض على جميع مافى يده من أموالنا : وتنظر فى أعمالنا وترتب لها عمالا ، فقلت : السمع والطاعة ، فلما كان فى غد دخلت عليه فقال : مافعلت فيما أمرتك به ؟ قلتُ أنا على ذلك : قال أتريد أن تجيء فى غد مودّعا ؟ قلت : السمع والطاعة ، فلما كان فى غد جئته مودّعا : قال : أتريد أن تحلف لى أنك لاتقيم ببغداد الا يوماً واحداً ، فاضطربت من ذلك الى أن حضنى واستحلفنى ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام ، فخرجت حتى قدمت بغداد : فلم أقم بها الا ثلاثة أيام وانحدرت فى زلالىّ أريد البصرة وجعل لى فى الزلالىّ خيشا واستكثرتُ من الثلج لشدة الحر ، فلما صرت بين جرجان وجبّل سمعت صوتا من الشاطىء يصيح :

ياملاّح ، فرفعتُ سَجف الزلالىّ واذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حاف المقدمين خلق القميص ، فقلت للغلام : أجبه ، فأجابه ، فقال ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التى ترى ، وقد أحرقنى الشمس وكادت تتلفنى ، وأريد جبل فاحملونى معكم فان الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فشتمه وانتهره ، فأدركتنى رقة عليه وقلت : خذوه معنا ،

فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه ، فلما صار معنا فى الزلالى وانحدرنا تقدم فدفعت اليه قميصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام : هاته يأكل معنا ؛ فجاء وقعد على الطعام ، فأكل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه ؛ فلما رفعت المائدة اردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة فى مجالس الخاصة فلم يفعل ، فغسلت يدى وتذمحت أن آمره بقيامه ، فقلت : قدموا له الماشت فغسل يده ، وأردت بعدها أن يقوم لأنام فلم يفعل ، فقلت ياشيخ ، أى شىء صناعتك قال حائك أصلحك الله ، فقلت فى نفسى : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ومددت رجلى فقال : قد سألتنى عن صناعتى وأنت أعزك الله ماصناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت : أنا جنيت على نفسى هذه الجناية ولا بد من احتمالها ، أتراه الأحمق لايرى زلالى وغلمانى ونعمتى وأن مثلى لايقال له هذا ! فقلت كاتب ، فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فان الكتاب خمسة ، فأيهم أنت ؟ فورد على قول الحائك موردا عظيما وسمعت كلاما أكبرته وكنت متكئا فجلست ، ثم قلت : فصل الخمسة قال :

نعم ؛ كاتب خراج يحتاج أن يكون عالما بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبثوق والفتوق والرتوق . وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلال والحرام والاحتجام والاجماع والأصول والفروع . وكاتب معونة يحتاج أن يكون عالما بالقصاص والحدود والجراحات والموانبات والسياسات . وكاتب جيش يحتاج أن يكون عالما بحلى الرجال وشيات الدواب ومداراة الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتب رسائل يحتاج أن يكون عالما بالصدور والفصول والأطالة والأيجاز وحسن البلاغة والخط ، قال : فقلت : إنى كاتب رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لى :

أصلحك الله ، لو أن رجلا من اخوانك تزوج أمك فأردت أن تكاتبه مهنئا فكيف كنت تكاتبه ؟ ففكرت فى الحال فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : ما أرى للتهنئة وجها ، قال : تكتب اليه تعزيه ففكرت فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : اعفنى ، قال . : قد فعلت ولكنك لست بكاتب رسائل ، قلت : أنا كاتب خراج ، قال : لابأس ، لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والأنصاف وتقفى سياحة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك ، فحلف المساح بالله العظيم لقد انصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعية بالله أنهم لقد جاروا وظلموا ، وقالت الرعية : قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق ومن الكاذب ، فخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكله قائل قفا ، كيف كنت تمسحه ؟ قلت : كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم أضربه فى مثله ، قال ، إن

شكل، قائل قلنا أن يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس : قلت ، فأخذ الوسط فأضربه في العرض ، قال : إذاً يثنيني عليك العمود : فأسكتني ، فقلت ولست كاتب خراج ، قال : فإذاً أما أنت ؟ قلت : أنا كاتب قاض ، قال : أرأيت لو أن رجلا توفي وخلف امرأتين حاملتين احداهما حرة والأخرى سرية ، فولدت السرية غلاما والحرة جارية ، فعدت الحرة الى ولد السرية فأخذته ، وتركت بدله الجارية فاختصما في ذلك ، فكيف الحكم بينهما ؟ قلت : لا أدري ، قال : فلست بكاتب قاض ، قلت : فأنا كاتب جيش ، فقال : لا بأس ، أرأيت لو أن رجلين جاءا إليك لتحلّيهما وكل واحد منهما اسمه واسم أبيه كاسم الآخر إلا أن أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة اليسرى ، كيف كنت تحليهما ، قال : قلت : فلان الأفلح وفلان الأعلم قال : أن رزقهما مختلفان وكل واحد منهما يجيء في دعوة الآخر قلت : لا أدري ، قال فلست بكاتب جيش ، قلت : أنا كاتب معونة ، قال : لا تبالي ، لو أن رجلين رفعا اليك قد شج أحدهما الآخر شجة موضحة ، وشج الآخر شجة مأمومة : كيف كنت تفصل بينهما ؟ قلت . لا أدري ، قال . لست إذاً كاتب معونة ، أطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا : قال . قصّرت نفسي وغاظني . فقلت : قد سألت عن هذه الأمور ويجوز ألا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي ، فان كنت عالما بالجواب قل ، فقال :

نعم ، أما الذي تزوج أمك فتكتب اليه : أما بعد ، فإن الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب ، وقد بلغني تزويج الوالدة خازالله لك في قبضها ، وأن النيروز أكرم الأزواج وأستر العيوب والسلام

وأما براح قائل قلنا فتمسح العمود حتى إذا صار عندك في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة.

وأما الجارية والغلام فيوزن لبن الاثنين ، فأيهما كان أخف فالجارية له .

وأما الجنديان المتفقا الاسمين ، فأن كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الأعلم ، وإذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الأفلح .

وأما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثلث الدية ، ولصاحب المأمومة نصف الدية فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حاذقا بليغاً ، فقلت : ألست زعمت أنك سائل ، فقال : أنا أصلحك الله جائك كلام ولست بجائك نسّاجة ، وأنشأ يقول :

مامرّ بؤسٌ ولا نعيمٌ إلا ولي فيهما نصيبُ
فذقتُ حلواً وذقت مرّاً كذاك عيشُ الفتى ضُروبُ

نوائب الدهر أدبتنى وإنمـا يؤنظ الأديبُ

قلت : فما الذى بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجلٌ كاتبٌ دامت عطلتى ، وكثرت عيالى ، وتواصلت محنتى ، وقلت حيلتى ، فخرجت أطلب نصرفاً فقطع على الطريق فصرت كما ترى ، فشبت على وجهى ، فلما لاح لى الزلالى استغثت بك : قلت ، فأنى قد خرجتُ الى متصرف جليل احتاج فيه الى جماعة مثلك ، وقد أمرت لك بخلعة حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها أمرك ، وتنقذ منها الى عيالك ، وتقوى نفسك بباقيها ، وتسير معى الى على فأوليك أجله ، فقال أحسن الله جزاءك اذاً تجدنى بحيث أسرك ، ولا أقوم مقام معتذر أليك ان شاء الله ، وأمرتُ بتقبيضه ما رجعت له قبضه ، وأحضر الى الاهواز معى ، فجعلته المناظر للرجحى والمحاسب له بحضرتى ، والمستخرج لما عليه ، فقام بذلك أحسن قيام وعظمت حاله معى ، وعادت نعمته الى أحسن ما كانت عليه . ؟

عبد الواحد سليمان غراب
ناظر مدرسة السالمية غربية

○ قال جيمس : ان خير قاعدة فى التعليم هى أن نفلح الحديد وهو ملتهب وأن نعرف ميل الطفل فنستخدم ما يميل اليه فى تعليمه وتهذيبه : فهو مثلا مطبوع على الحركة فمن الواجب أن نجعلها سبيل إدراكه .

○ من الواجب جعل بدء التعليم أن ندرس الطفل لنعرف نفسيته ومواضع الحب والكره منها لنستطيع اظهار نشاطه الفكرى وخلق حب العمل فى نفسه وتوجيهه بعد ذلك شطر المثل الأعلى .

○ المعلم الحكيم هو الذى يعود أطفاله حب البحث والاستقلال بالحكم مع احترام آراء المجربين والأخذ بأفكارهم .

الصحة وسجاير شوقى وحافظ

قدم الأستاذ الدكتور امين بك زاده الكيماوى هذه الشهادة
لشركة سجاير ا بهجت ومصطفى العمرجى